

٩ سلسلة نساء النبي صلى الله عليه وسلم للأطفال
حفيدة الأنبياء
صفية بنت حُيَيّ
رضى الله عنها
محمد القاضى

سلسلة نساء النبى ﷺ
(٩)

حَفِيدَةُ الأَنْبِيَاءِ
صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَىّ

رضى الله عنها

تأليف
محمد محمود القاضى

الطبعة الأولى للناشر
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع: ١٥٦١٩/ ٢٠٠٥
الترقيم الدولـــي: I.S.B.N
977-265-654-X



دار التـــوزيع والنشـر الإسـلامـيـة

مصـــر - القاهـــــرة - السيدة زينـــب ص.ب ١٦٣٦
٢٥١ش بور سعيد ت:٣٩٠٠٥٧٢ - فـاكس: ٣٩٣١٤٧٥
مكتبة السيدة : ٨ ميدان الســـيدة زينـــب ت: ٣٩١١٩٦١

www.eldaawa.com
email:info@eldaawa.com

فتح خيبر

كان صلح الحديبية بداية مرحلة جديدة فى حياة الدولة الإسلامية، فقد أمن الرسول ﷺ مكائد قريش، لذلك حانت الفرصة لكى يحاسب الرسول ﷺ يهود خيبر على ما اقترفوه فى حق الإسلام والمسلمين، فهم الذين جمَّعوا الأحزاب ضد المسلمين، وأثاروا بنى قريظة على الغدر والخيانة، وكانوا على اتصال بالمنافقين فى المدينة وببقية أعداء المسلمين من أهل الجزيرة، وتآمروا على قتل الرسول ﷺ، وكانوا يتحينون الفرصة لقتال المسلمين؛ لأجل كل ذلك قرر الرسول ﷺ الخروج إلى خيبر فى شهر المحرم فى السنة السابعة من الهجرة.

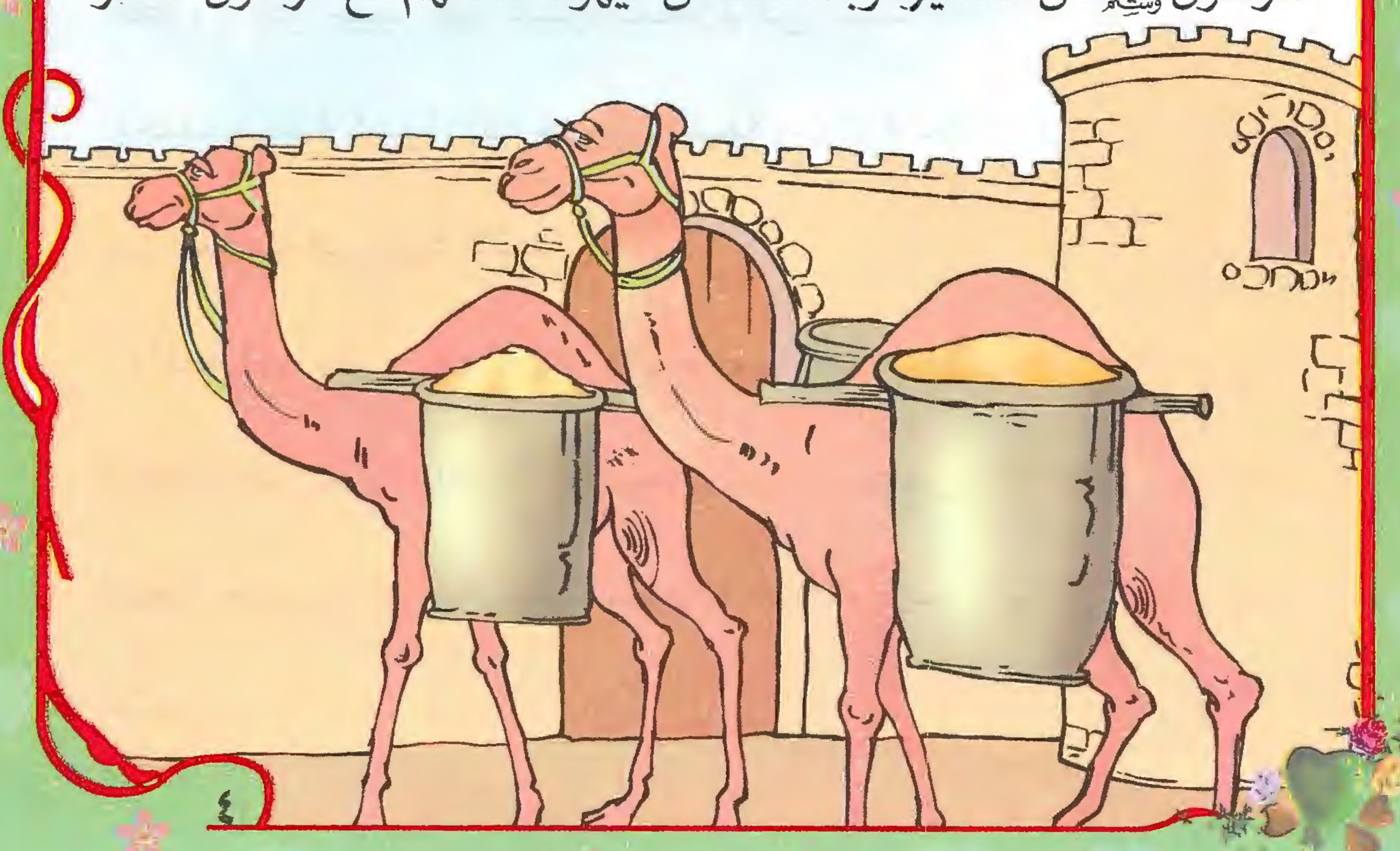
وخيبر مدينة كبيرة ذات حصون منيعة ومزارع غنية على بعد مائة ميل من المدينة فى جهة الشمال.

وأنعم الله على رسوله ﷺ والمسلمين بفتح خيبر، وغنم المسلمون منها غنائم كثيرة وأموالاً عظيمة، فعن ابن عمر قال: ما شبعنا حتى فتحنا خيبر. وعن عائشة قالت: لما فتحت خيبر قلنا: الآن نشبع من التمر.

صفية بنت حيى:

حبيبة رتنه

كان الرسول ﷺ فى أثناء فتح خيبر قد أحكم حصاره على حصن أبى الحقيق من حصون خيبر، وكان يسمى القموص، فأيقن من به من اليهود أنه لا مفر أمامهم من المسلمين، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ ليصالحوه على حقن دمائهم هم وأولادهم فى مقابل أن يتركوا أموالهم وأرضهم غنيمة للمسلمين، فصالحهم الرسول على ذلك بشرط ألا يكتموا شيئًا من أموالهم، وإلا برئت منهم ذمة الله وذمة رسوله، ولكن حدث أن أخفى ابنا أبى الحقيق أموالاً كثيرة وحليًّا لحيى بن أخطب عندما أخرجه الرسول ﷺ من النضير، وبذلك نقض اليهود صلحهم مع الرسول، فأمر



النبى بقتل ابنى أبى الحقيق، وسبى رسول الله صفية بنت حيى بن أخطب، وكانت زوجة لكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق، وكانت آنذاك عروسًا حديثة عهد بالدخول.

وكانت صفية قد تزوجت قبل كنانة سلام بن مشكم، ثم طلقها فتزوجها كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق، ولم تكن ولدت لأحد منهم شيئا . وقد كان كنانة من شعراء اليهود .

ووالد صفية هو حيى بن أخطب بن سعية بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبى حبيب بن النضير، وكان من زعماء بنى النضير، وكان النبى ﷺ قد أجلى بنى النضير من المدينة لما غدروا برسول الله ﷺ وهموا بقتله على الرغم من عهده معه، وكانوا قد خرجوا إلى خيبر والشام، وكان حيى والد صفية من الذين ذهبوا إلى خيبر ومعه أشراف بنى النضير، وكان حيى يكن العداوة لرسول الله ﷺ، ويسعى لعداوته فى كل مكان، وظل على ذلك حتى قُتل فى غزوة بنى قريظة.

وكانت أم صفية إحدى نساء بنى قينقاع أحد بنى عمرو.

إسلام صفية بنت حيى، وزواجها من رسول الله .

وكانت صفية عندما سبيت وقعت في سهم دحية الكلبي، فكلم بعض الصحابة رسول الله ﷺ بشأنها قائلين له: صفية سيدة قريظة والنضير لا تصلح إلا لك، فاصطفاها النبى ﷺ لنفسه، وعوض دحية عنها سبعة أرؤس، فلما قابلها النبى ﷺ عرض عليها الإسلام قائلا: اختاري.. فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسى، وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقى بقومك.

فقالت صفية: يا رسول الله، لقد هويت الإسلام، وصدَّقت بك قبل أن تدعوني حيث صرت إلى رحلك، وما لى فى اليهودية أرب وما لي فيها والد ولا أخ، وخيرتنى الكفر والإسلام، فالله ورسوله أحب إلىَّ من العتق وأن أرجع إلى قومى.

ولم يكن إسلام صفية أمرًا غريبًا على مثلها، فهى امرأة شريفة عاقلة ذات حسب، حيث يرجع نسبها إلى سبط اللاوي بن نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم -عليهم السلام-، ثم من ذرية رسول الله هارون -عليه السلام-.

وقد حدثت أمور كثيرة أمام عينها وهى بين قومها أكدت لها صدق

رسول الله ﷺ، وأنه نبى من الله حقًّا، وتحكى صفية -رضى الله عنها- أنها كانت قريبة من قلب أبيها وعمها، تقول صفية: لما قدم رسول الله ﷺ قباء قرية بنى عمرو بن عوف غدا إليه أبى وعمى أبو ياسر بن أخطب، فوالله ما رجعا إلا مع مغيب الشمس، فرجعا فاترين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى، فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما نظر إلى واحد منهما، فسمعت عمى أبا ياسر يقول لأبى: أهو هو؟

قال: نعم والله. قال: تعرفه بنعته وصفته؟

قال: نعم والله. قال: فماذا فى نفسك منه؟

قال: عداوته والله ما بقيت!!.

وهناك موقف آخر تأكد لصفية فيه صدق رسول الله ﷺ، فإن عمها أبا ياسر بن أخطب حين قدم رسول الله المدينة ذهب إليه وسمع منه وحادثه، ثم رجع إلى قومه فقال: يا قوم، أطيعون فان الله قد جاءكم بالذي تنتظرون فاتبعوه ولا تخالفوه، فانطلق أخوه حيى بن أخطب وهو يومئذ سيد اليهود وهما من بنى النضير فجلس إلى رسول الله ﷺ وسمع منه، ثم رجع إلى قومه وكان فيهم مطاعًا فقال: أتيت من عند رجل والله لا أزال له عدوًّا أبدًا. فقال له أخوه أبو ياسر: يا ابن أم،

أطعنى فى هذا الأمر واعصنى فيما شئت بعده لا تهلك. قال حيى: لا والله لا أطيعك أبدًا واستحوذ عليه الشيطان.

أما أكثر المواقف تأثيرًا فى حياة صفية، والذى جعلها تقبل على الإسلام عندما عرضه عليها رسول الله ﷺ، أنها رأت فى بداية زواجها من كنانة بن الربيع رؤيا عجيبة؛ فقد رأت في منامها كأن القمر أقبل من يثرب فسقط في حجرها، فقصت رؤياها على ابن عمها فلطم وجهها، وقال: أتتمنين ملك يثرب أن يصير بعلك.. فما كان إلا مجيء رسول الله وحصاره إياهم، ووقوعها فى الأسر..

وبعد أن تزوجها النبى ﷺ رأى خضرة تحت إحدى عينيها من أثر تلك

اللطمة، فسألها عن سبب ذلك فحكت لرسول الله ﷺ ما كانت رأت من تلك الرؤيا الصالحة -رضى الله عنها- وأرضاها، وما فعله بها زوجها عندما قصت عليه الرؤيا.

ولعل كلمات الرسالة التى أرسلها النبى ﷺ إلى يهود خيبر يدعوهم فيها إلى الإيمان بالله ورسوله كانت قد وقعت على مسامع صفية وهى العاقلة الرشيدة موقعًا حسنًا، فقد كتب الرسول ﷺ إليهم قبيل غزوهم قائلا:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله صاحب موسى وأخيه والمصدق بما جاء به موسى، ألا إن الله قال لكم يا معشر يهود وأهل التوراة: إنكم تجدون ذلك في كتابكم إن محمدًا رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعًا سجدًا يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا، وإنى أنشدكم بالله، وبالذي أنزل

عليكم، وأنشدكم بالذي أطعم من كان قبلكم من أسلافكم وأسباطكم المن والسلوى، وأنشدكم بالذي أيبس البحر لآبائكم حتى أنجاكم من فرعون وعمله إلا أخبرتمونا هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد، فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم قد تبين الرشد من الغى وأدعوكم إلى الله وإلى نبيه.

ثم أن النبى ﷺ لما طهرت صفية تزوجها وجعل عتقها صداقها، وبنى بها رسول الله ﷺ بالصهباء فى جمادي الآخرة سنة سبع من الهجرة، وكان عمرها يوم دخل بها رسول الله ﷺ سبع عشرة سنة.

وكانت التى تولت تهيئتها وإعدادها لدخول الرسول ﷺ عليها الصحابية الجليلة أم سليم بنت ملحان أم أنس -رضى الله عنها-، وأركبها الرسول ﷺ وراءه على البعير وحجبها وأولم عليها، فكانت وليمته السمن والأقط والتمر.

ويروى أن الرسول ﷺ لما رجع من خيبر أراد أن يدخل بصفية فى مكان قريب من خيبر ويبعد عنها عدة أميال فأبت صفية فوجد النبى ﷺ فى نفسه من ذلك، فلما كان بالصهباء وهى على بعد مسافة كبيرة من خيبر دخل بصفية وأنس بها، وظل طوال الليل يحدثها، وكان من

حديثه معها أن ذكر لها الأسباب التى دعته إلى قتل أبيها وزوجها، فأذهب الله ما فى نفسها من قتل أبيها وزوجها، وسر النبى ﷺ منها، وقال لها: ما حملك على الذي صنعت حين أردت أن أنزل المنزل الأول فأدخل بك؟!

فقالت صفية: خشيت عليك قرب يهود.. فزادها ذلك عند رسول الله ﷺ. وبلغ من مراعاة الرسول ﷺ لخاطرها بعد ذلك أنه لم يسمع النبى ﷺ ذاكرًا أباها بحرف مما تكره.

وربما كان بعض الصحابة يخشى على رسول الله ﷺ من صفية فى بداية العهد بها، فلما أعرس رسول الله ﷺ بصفية بخيبر أو ببعض الطريق، وبات بها رسول الله ﷺ في قبة له، بات أبو أيوب متوشحًا بسيفه يحرس رسول الله ﷺ ويدور حول القبة حتى أصبح، فلما رأى



رسول الله ﷺ مكانه قال: ما لك يا أبا أيوب؟! قال: خفت عليك من هذه المرأة، وكانت امرأة قد قتلت أباها وزوجها وقومها وكانت حديثة عهد بكفر فخفتها عليك.. فضحك رسول الله ﷺ وقال له خيرًا، أو قال له: اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى.

وبلغ من إكرام النبى ﷺ لها أنها كانت إذا أرادت أن تركب الناقة يسترها بعباءة، ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته، وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب.

ويحكى أن الر سول ﷺ لما أركبها وراءه على البعير تعثر بهما فوقعا وسلمهما الله تعالى، فنزل أبو طلحة -رضى الله عنه- عن راحلته فأتى النبي ﷺ فقال: يا نبى الله، هل ضرك شىء؟ قال لا، عليك بالمرأة، فألقى أبو طلحة ثوبه على وجهه وسار ناحية صفية، وألقى الثوب عليها فقامت، فشدها على راحلته فركبت وركب النبى ﷺ .

صفية فى بيت النبى ﷺ:

لم يكن دخول صفية فى بيت النبى ﷺ حدثًا عاديًّا عند زوجات النبى ﷺ، فقد كانت صفية ذات حلم ووقار وجمال ودين، فإن الرسول ﷺ لما قدم من خيبر ومعه صفية أنزلها، فسمع بجمالها نساء الأنصار فجئن ينظرن إليها، وكانت عائشة متنقبة حتى دخلت فعرفها النبى

ﷺ، فلما خرجت خرج فقال: كيف رأيت؟ قالت: رأيت يهودية! قال: لا تقولي هذا فقد أسلمت.

وكان مع عائشة فى هذا الموقف زينب بنت جحش وحفصة وجويرية، فقالت زينب لجويرية: يا بنت الحارث، ما أرى هذه الجارية إلا ستغلبنا على عهد رسول الله! فقالت جويرية: كلا إنها من نساء قل ما يحظين عند الأزواج.

ولكن صفية -رضى الله عنها- استطاعت أن تنال مكانة عظيمة فى نفس رسول الله ﷺ لحسن أخلاقها وعظيم محبتها لرسول الله ﷺ، فلم يكن رسول الله ﷺ زوجًا مثل أى زوج، فهو أكرم خلق الله، وخير الناس لنسائه.

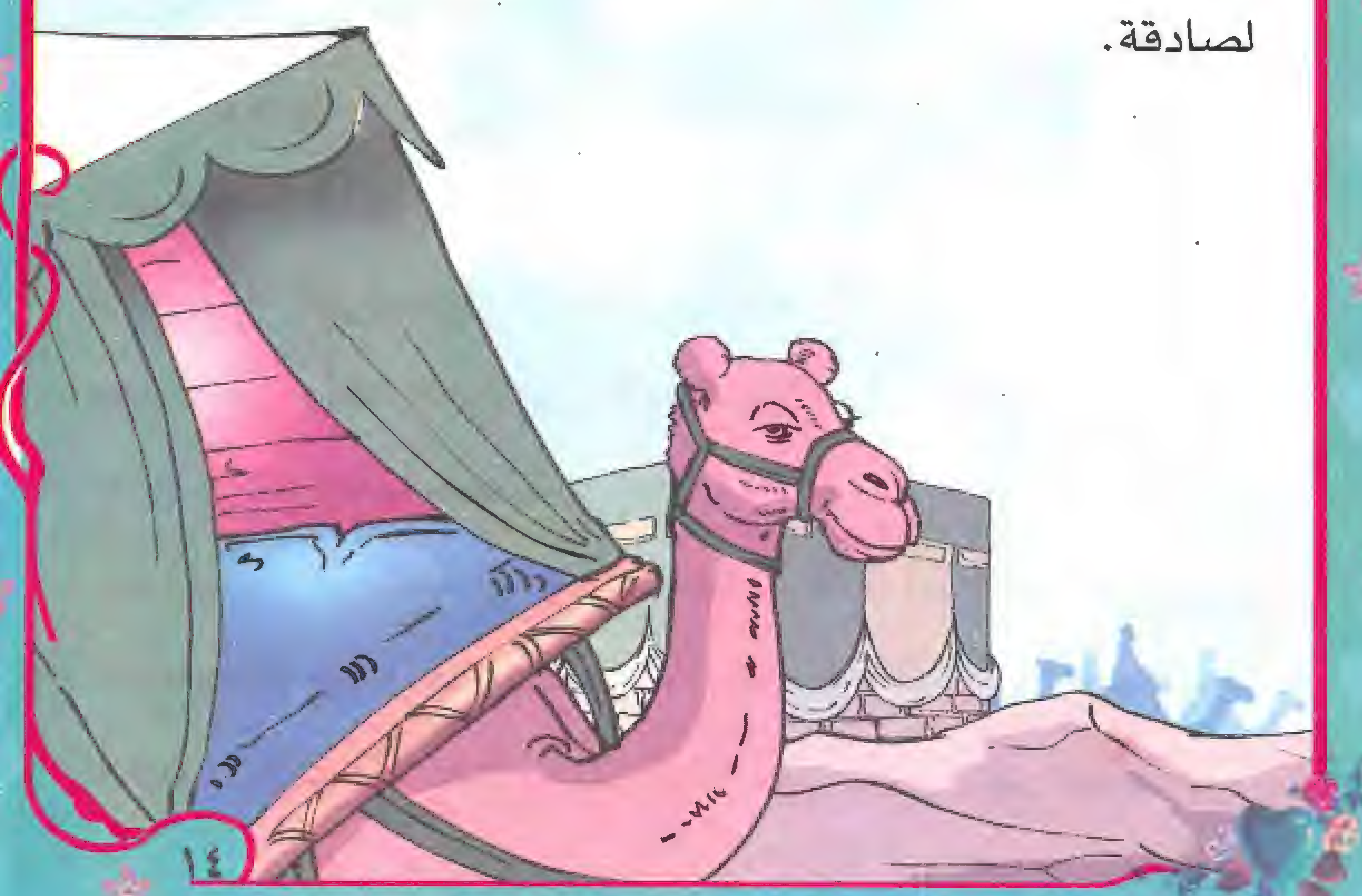
وذات يوم، بلغ صفية أن حفصة قالت لها: إنك بنت يهودي! فبكت صفية فدخل عليها النبى ﷺ وهى تبكى، فقال: ما شأنك؟ قالت: قالت لي حفصة: إنى بنت يهودي! فقال لها النبى ﷺ: إنك لبنت نبى، وإن عمك لنبى، وإنك لتحت نبى، فبم تفخر عليك؟! ثم قال النبى ﷺ لحفصة: اتق الله يا حفصة.

ومرة أخرى بلغ صفية أن عائشة وحفصة قالتا: نحن أكرم على رسول الله منها، نحن أزواجه وبنات عمه، فلما دخل النبى ﷺ عليها ذكرت له ذلك فقال لها: ألا قلت: وكيف تكونان خيرًا مني وزوجى محمد، وأبى

هارون، وعمى موسى.

وكانت صفية عندما دخلت بيت النبوة علمت مكانة فاطمة بنت رسول الله ﷺ من قلب أبيها، فأنزلتها صفية من قلبها مكانة عظيمة إكرامًا لرسول الله ﷺ، وكان فى أذن صفية خرصة من ذهب ﷺ (قطعة ذهبية تتزين بها) فوهبت لفاطمة منه ولنساء معها.

وعاشت صفية حياتها مع الرسول ﷺ محبة له، متوددة إليه، فلما كان النبى ﷺ فى مرضه الذى توفى فيه، قالت صفية: والله يا نبى الله لوددت أن الذي بك بى. فغمزها أزواجه فأبصرهن النبى ﷺ، فقال لهن: مضمضن!! قلن: من أي شىء؟ قال: من تغامزكن بها، والله إنها لصادقة.



ولما حج النبى ﷺ بنسائه، برك بصفية جملها، فبكت وجاء رسول الله ﷺ، فلما أخبروه جعل يمسح دموعها بيده وهى تبكى، وهو ينهاها، فنزل رسول الله ﷺ بالناس، فلما كان عند الرواح قال النبى ﷺ لزينب بنت جحش: أفقري (امنحى) أختك جملاً وكانت من أكثرهن ظهرًا، فقالت زينب: أنا أفقر يهوديتك! فغضب النبى ﷺ فلم يكلمها حتى رجع إلى المدينة، وامتنع عنها طوال شهرى المحرم وصفر، ولم يقسم لها ويئست منه، فلما كان ربيع الأول دخل عليها فلما رأته قالت: يا رسول الله، ما أصنع (تريد عن تكفر عن خطئها فى حق صفية)، وكانت لها جارية تخبؤها من رسول الله ﷺ فقالت: هى لك، فمشى النبى ﷺ إلى سريرها وكان قد رفع، فوضعه بيده ورضى عن أهله.

صفية بعد وفاة النبى ﷺ:

لما مات النبى ﷺ اعتكفت صفية فى بيتها وشغلت نفسها بالطاعة والعبادة، وامتلأ قلبها خشوعا لله، وكانت -رضى الله عنها- من سيدات النساء عبادة وورعًا وزهدًا وبرًا وصدقة..

وكانت تعجب فى نفسها من العبادة التى لا يصاحبها خشوع وخضوع لله، فذات يوم.. اجتمع نفر من المسلمين قريبًا من حجرتها.. فذكروا الله، وتلوا القرآن، وسجدوا. فنادتهم صفية قائلة لهم: هذا السجود

وتلاوة القرآن، فأين البكاء؟!!

ولم تتخل صفية عن حلمها وصفحها مع الناس جميعًا، فذات مرة، ذهبت جارية لصفية إلى عمر بن الخطاب، فقالت: إن صفية تحب السبت (من المعروف أن اليهود يعظمون يوم السبت)، وتصل اليهود، فبعث عمر يسألها، فقالت: أما السبت فلم أحبه منذ أبدلنى الله به الجمعة، وأما اليهود فإن لي فيهم رحمًا فأنا أصلها. ثم قالت صفية للجارية: ما حملك على ما صنعت؟ قالت: الشيطان!! قالت صفية: فاذهبى فأنت حرة.

ولما حدثت الفتنة أيام عثمان بن عفان وثار عليه الثائرون وحاصروه فى منزله خرجت صفية لتدافع إلى جانب عثمان، حتى لقيها أحد الثائرين على عثمان وهو الأشتر فضرب وجه بغلتها حتى مالت، فقالت: ذروني لا يفضحنى هذا.. ثم وضعت خشبًا من منزلها إلى منزل عثمان تنقل عليه الماء والطعام.

وفاتها:

وفى سنة خمسين من الهجرة توفيت أم المؤمنين صفية بنت حيى - رضى الله عنها-، وكانت قد قاربت الستين من عمرها، ودفنت بالبقيع إلى جوار قبور من سبقها من زوجات النبى ﷺ.

هذه السلسلة

تُمثِّل سيرة مختصرة ، وسهلة ، ومبسطة لنساء النبى ﷺ فَهُنَّ الصفوة من النساء ، لأنهن عِشْن فى كنف الرسول الكريم ﷺ وتربَين على الوحى الإلهى ، المُنزَّل على قلب النبى ﷺ ،وذلك لتتعرف البنات على أمهاتهن أمهات المؤمنين ، ولتتخذن منهن قدوة حسنة ، فى كل ما تميزت به كل واحدة منهن ،وكلهن آثرن الله والدارَ الآخرة على زينة الحياة الدنيا ، فرضَين برضاه من الكفاف .

وقد شملت السلسلة :

١ – خديجة بنت خويلد.
٢ – سودة بنت زَمعة .
٣ –عائشة بنت أبى بكر.
٤ – حفصة بنت عمر .
٥ – زينب بنت خُزَيمة.
٦ – أم سَلَمة هند بنت أبى أمية .
٧ – زينب بنت جحش.
٨ – جُوَيْرِيَة بنت الحارث .
٩ –صفية بنت حُيَىّ.
١٠ – أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان .
١١ – ميمونة بنت الحارث.
١٢ – مارية بنت شمعون .

واللهَ نسألُ أن ينفع به أبناء أمتنا الإسلامية ،
وهو الهادى ، والموفق إلى صراطه المستقيم ،،،

الناشر



دار التـــوزيع والنشــر الإســلامـيــة
٢٥١ش بورسعيد ت: ٣٩٠٠٥٧٢ فاكس: ٣٩٣١٤٧٥
email:info@eldaawa.com www.eldaawa.com